

فصلية اللسان المبين (بحوث في الأدب العربي)
(علمية محكمة)

السنة الرابعة، المسلسل الجديد، العدد العاشر، شتاء ١٣٩١، ص ٢٢١-٢٣٤

الطباق ومكاته في البلاغة العربية على ضوء الشواهد القرآنية*

سيدة ريحانه ميرلوحى
أستاذة مساعدة بجامعة إصفهان
سيد رضا سليمان زاده نجفى
أستاذ مساعد بجامعة إصفهان
عبدالغنى ايروانى زاده
أستاذ مشارك بجامعة إصفهان
محمد خاقانى
أستاذ بجامعة إصفهان

الملخص

الطباق من الفنون الأدبية فى النصوص العربية ومازال ولايزال موظفاً فى أنواع الأدب من الشعر والنثر وبحث عنه الأدياء منذ أقدم العصور حتى الآن، وقد ذكره كسائر الفنون البلاغية تحت عنوان البديع، أو البيان حتى جاءت مرحلة تقسيم علوم البلاغة إلى الفنون الثلاثة: المعانى والبيان والبديع، وقد أثبت من المحسنات المعنوية ومازال حتى اليوم يدرس فى طيات مباحث البديع.

وبما أن الطباق لم يعط مكانه ومكاته فى الفنون الثلاثة، لذلك كان من الضرورى تبين موقعه الحقيقى وتجليه أثره فى البيان وتوظيفه فى النصوص كتابة وخطابة، والإفادة منه فى نقد النصوص ودراستها. وهذا ما قام به الباحثون مستشهدين بشواهد من القرآن الكريم فى أهمية الطباق وأثره فى البيان.

الكلمات الدليلية

الطباق، المطابقة، التضاد، البيان، البديع، تداعى المعانى، دلالة المطابقة، دلالة الالتزام.

تاريخ القبول: ١٣٩١/١١/٢٣

* - تاريخ الوصول: ١٣٩٠/٠٩/٢٧

عنوان بريدالكاتب الإلكتروني: r.mirlohi@fgn.ui.ac.ir

المقدمة

تسمية الطبايق

قد سُمي بأسماء مختلفة مثل: المطابقة، التطبيق، التضاد، التكافؤ، المناسبة، المقابلة (الساحلي، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م: ١١).
والشائع اليوم من بين هذه العناوين هو الطبايق.

الطبايق لغة

وهو مصدر من باب المفاعلة؛ يقال: «طابق الفرس في مشيه أو جريه مطابقة وطباقاً»: وضع رجله موضع يديه. و-المقيّد: مشى في القيد وقارب الخطو. وقيد فلاناً: وافقه (أنيس، إبراهيم، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م: مادة <طبق>).

الطبايق اصطلاحاً

وهو الجمع بين معنيين متقابلين في الجملة (الخطيب القزويني، د.ت، ج ٢: ١٣٦). وقوله «في الجملة» يدخل في التقابل بين طرفي الطبايق جميع صور التقابل المنطقي وما يشبهها كالآتي:

أ. وجوه التقابل المنطقي في الطبايق:

١. تقابل التناقض أو (السلب والإيجاب): وهو يكون بين أمرين لا يجتمعان معاً ولا يرتفعان، نحو قوله تعالى: «سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم <البقرة ٢/٦>»؛ وقع الطبايق بين الإنذار وعدمه طبايق التناقض.

٢. تقابل التضاد: وهو يكون بين أمرين لا يجتمعان وقد يرتفعان، نحو قوله تعالى: «ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي <الأنعام: ٥٢>»؛ فبين الغداة والعشي تقابل التضاد، لأنهما لا يجتمعان وقد يرتفعان.

٣. تقابل العدم والملكية: وهو تقابل اتّصاف موصوف بصفة من شأنه أن يتّصف بها، وعدم اتّصاف ذلك الموصوف بتلك الصفة، نحو قوله تعالى: «قل هل يستوى الأعمى والبصير <الأنعام ٥٠/٦>».

٤. تقابل التضاييف: وهو النسبة العارضة للشيء بالقياس إلى غيره (الدسوقي، محمد، د.ت، ج ١: ١٢٤). نحو قوله تعالى: «يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه <عبس ٨٠/>».

ب. ما يشابه التقابل: وهو ما يشعر بالتقابل لاشتماله بوجه على ما يوجب التنافي، نحو قوله تعالى: «مما خطيئاتهم أغرقوا فأدخلوا ناراً» نوح ٢٥/٧١؛ فبين «أغرقوا» و«أدخلوا ناراً» شبه تقابل لما يشعر به الإغراق من الماء المشتمل على البرودة غالباً وما يشعر به إدخال النار من الحرارة (الدسوقي، محمد، د.ت، ج ٢: ٥٠٧).

تقسيم الطباق باعتبار طرفيه:

يقسّم الطباق باعتبار طرفيه اسماً وفعلاً وحرفاً إلى أربعة أقسام:

- الطباق بين اسمين؛ نحو قوله تعالى: «وتحسبهم أيقاظاً وهم زُقود» الكهف ١٨/١٨. «
- الطباق بين فعلين، نحو قوله تعالى: «إذ قال إبراهيم ربّي الذي يُحبي ويُميت» البقرة ٢٥٨/٢.»

- الطباق بين حرفين، نحو قوله تعالى: «لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت» البقرة ٢٨٦/٢. «
فقد تحقق الطباق بين «لها» و«عليها» فالأولى مفيدة للنفع والثانية مفيدة للضرر.

- الطباق بين نوعين من أنواع الكلمة، نحو قوله تعالى: «أو من كان ميتاً فأحييناه» الأنعام ١٢٢/٦؛ فقد وقع الطباق بين «ميتاً» وهو اسم، و«أحييناه» وهو فعل.

تقسيم الطباق باعتبار الإيجاب والسلب:

يقسّم بهذا الاعتبار إلى قسمين:

- طباق الإيجاب: وهو ما لم يختلف فيه الطرفان سلباً وإيجاباً؛ نحو قوله تعالى: «ثم لا يموت فيها ولا يحيى» الأعلى ١٣/٨٧. وقوله: «وأنّه هو أضحك وأبكي» النجم ٤٣/٥٢؛ «
فالطرفان في الآية الأولى منفيان، وفي الآية الثانية مثبتان.

طباق السلب: وهو أن يختلف الطرفان إيجاباً وسلباً بأن يجمع بين فعلى مصدر واحد أحدهما مثبت والآخر منفي أو أحدهما أمر والآخر نهى؛ نحو قوله تعالى: «ولكن أكثر الناس لا يعلمون يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا» الروم ٦/٣٠-٧. وقوله تعالى: «فلا تخشوا الناس واخشوني» المائدة ٣/٥. «ففي الآية الأولى جمع بين «لا يعلمون» و«يعلمون» وهما فعلان من مصدر «علم» أحدهما مثبت والآخر منفي. وفي الآية الثانية جمع بين «فلا تخشوا» و«أخشوا» وهما فعلان من مصدر «خشية» أحدهما أمر والآخر نهى (الخطيب القزويني، المرجع نفسه).

المناسبة بين معنى الطباق اللغوي ومعناه المصطلح:

يرجع بعض علماء البلاغة المناسبة إلى المعنى الأول، وهو مطابقة البعير (أو الفرس) في جريه، ويقول: إن القوم (أي علماء البلاغة) رأوا أن البعير قد جمع بين الرجل واليد في موطيء واحد، والرجل واليد ضدان، أو في معنى ضدّين، فرأوا أن الكلام الذي قد جُمع فيه

بين الضدّين يحسن أن يسمّى مطابقاً لأنّ المتكلّم به قد طابق بين الضدّين (ابن أبي الإصبع المصري، ١٣٨٣هـ: ١١١).

ويرجع بعضُ المناسبة إلى المعنى الثالث وهو الموافقة في ذكر المعنيين المتضادّين معاً توفيق إيقاع توافق بين ماهو في غاية التخالّف (التفتازاني، شرح المفتاح، نقلًا عن المدني، ١٣٨٨هـ، ج ٢: ٣١).

نشأة الطباق في الأدب العربي وتطوره:

إنّ الأدب العربي جيل منذ نشأته على استخدام الطباق في بيان مقاصده، يقول امرؤ القيس في لامبته في وصف فرسه:

مِكْرٌ مِفْرٌ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مِعاً كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهَ السَّيْلُ مِنْ عَلٍ
(الزوزني، ١٩٧٥: ٤٤)

ويقول زهير:

يَمِيناً لَنَعَمِ السَّيِّدَانِ وَجَدْتَمَا عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ سَحِيلٍ وَمُبْرَمٍ
(المرجع نفسه: ١٤٣)

ويقول عمرو بن كلثوم:

فَأَنَا نُورِدُ الرَّايَاتِ بِيضاً وَنُصْدِرُهُنَّ حُمْراً قَدْ رَوِينَا
(المرجع نفسه: ١٧٠)

وهكذا إذا جاوزنا العصر الجاهلي ودخلنا العصر الإسلامي من بدء نزول القرآن الكريم إلى يومنا هذا نرى هذا الفن البلاغي جارياً على أقلام الكتّاب والشعراء والمنشئين، وعلى ألسن الخطباء والوعاظ والقصاص المفوّهين.

وليس الغرض هنا الكلام على نشأة الطباق نفسه، وإنّما الهدف نشأته في الأدب العربي بعنوان «فن بلاغي» أو أداة لأداء المعنى، وفي هذا المسار إذا تقرّينا تاريخ علم البلاغة نجد أنّ أوّل من تكلم حول الطباق كفنّ من فنون البلاغة هو الأصمعي (ت ٢١٦هـ) فقد سأله تلميذه أبو حاتم السجستاني عن صنعة الشعر فذكر في بعض قوله «المطابقة» (الحاتمي، ١٩٧٨م، ج ١: ٤٢ و ٤٣، نقلًا عن الساحلي، ١٩٩٦م: ٤٨) واستشهد بأبيات منها قول الفرزدق:

يَسْتَيْقِظُونَ إِلَى نَهَاقِ حَمِيرِهِمْ وَتَنَامُ أَعْيُنُهُمْ عَنِ الْأُوتَارِ
(ديوان الفرزدق، ١٤١٨هـ: ٣٥٨)

ويأتى بعده ثعلب (ت ٢٩١هـ) ويعرّف الطباق بقوله: «هو تكرير اللفظة بمعنيين مختلفين» ويمثّل له بقوله تعالى: «...ويأتيه الموت من كلّ مكان وما هو بميت إبراهيم ١٧/١٤»

(ثعلب، ١٩٦٦م: ٦٤) وهو طباق سلب. ويطلق على اجتماع لفظتين متضادتين، وهو المعنى الاصطلاحي للطباق مجاورة الأضداد ويمثل له بقوله تعالى: «لا يموت فيها ولا يحيى >طه/٧٤<». (ثعلب، المرجع نفسه: ٦٢).

وظهر في ساحة البلاغة معاصرٌ لثعلب هو ابن المعتز (ت ٢٩٦هـ) الذي ألف أول كتاب في علم البديع سماه «البديع»، ويبحث عن الطباق في الباب الثالث من أبوابه الخمسة (ابن المعتز، ١٤١٠هـ: ١٢٤).

ويتألق في سماء البلاغة العربية وعلم البديع أدباء آلفوا في موضوعات البديع وبحثوا من بينها عن الطباق ومسائله المختلفة (الساحلي، المرجع نفسه: ٦٥-١٦١).

وما إن يأتي القرن السابع حتى نرى تكميلاً لثمرة جهود المتقدمين بلغاء منهم:
- ابن الأثير (ت ٦٣٧هـ) فقد بحث عن الطباق بعنوان «المطابقة» في كتاب «المثل السائر» (ابن الأثير، ١٤٢٠هـ: ٢٦٤-٢٨٢).

_ وابن أبي الإصبع المصري (ت ٦٥٤هـ) المبتكر لعدّة الفنون البديعية بحث عن الطباق واستوفى أقسامه في كتاب تحرير التحرير (١٣٨٣هـ: ١١١-١١٥)، و(بديع القرآن ١٣٧٧ هـ : ٣١-٣٥).

- والسكاكي، أبو يعقوب يوسف بن محمد (ت ٦٢٦هـ) وهو المعروف بكتابه «مفتاح العلوم» وهو الذي وضع حجر الأساس لتقسيم علوم البلاغة إلى «المعاني» و«البيان» وألحق بهما «المحسنات المعنوية واللفظية»، بادئاً من بين المعنوية بذكر «الطباق» (السكاكي، ١٣٥٦هـ: ٢٠٠).

ويأتي بعده الخطيب القزويني (ت ٧٣٨هـ) الذي لخص كتاب «مفتاح العلوم» وأطلق على المحسنات المعنوية واللفظية «فن البديع».

وجعله «الفن الثالث» بعد فني المعاني والبيان (الخطيب القزويني، د.ت: ١٣٥).
ومنذ ذلك الزمان حتى الآن نرى تقسيم السكاكي وتكملة الخطيب القزويني له رائجاً ومتداولاً بين الأدباء ودارسي البلاغة ومدرسيها. ونحن اليوم بحاجة ماسة إلى تجديد النظر في هذه الفنون الثلاثة، ومباحث كل فن وإلقاء الضوء بالدقة والفحص على كل مبحث ومكانه اللائق به ومكانته بالنسبة إلى باقي المباحث، ليتضح جدارته بالمكان الذي وضع فيه، أو ينقل إلى مكان آخر أليق به وأجدر.

وتحقيق هذا المرام يستلزم الإشارة إلى أنواع الدلالات اللفظية الوضعية الثلاثة؛ وهي دلالة المطابقة ودلالة التضمن ودلالة الالتزام، حتى يتبين ما يستخدم منها في علم البيان وبالتالي في فن الطباق الذي نحاول أن ننقله من مباحث البديع إلى مباحث البيان.

أما دلالة المطابقة - وهي دلالة اللفظ على تمام ما وضع له مثل دلالة الإنسان على الحيوان الناطق - فهذه الدلالة كما صرح علماء البلاغة خارجة عن موضوع البيان ولا توظف في مباحثه؛ لأن علم البيان يبحث عن إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة في وضوح الدلالة عليه (الخطيب القزويني، د.ت، ج ٢: ٣)، ولا يمكن إيراده بدلالة المطابقة؛ لأن السامع إن كان عالماً بوضع الألفاظ لم يكن بعضها أوضح، وإلا لم يكن كل واحد منها دالاً عليه (المرجع نفسه: ٥). فيدلّ لفظ «إنسان» و«آدم» و«بشر» على مفهوم «الحيوان الناطق» دلالة متساوية، ولا يكون بعضها أوضح من بعض.

وأما دلالة التضمن؛ - وهي دلالة اللفظ على جزء ما وضع له، مثل دلالة الأصابع على الأنامل في قوله تعالى: «يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق ..» <البقرة ١٩/٢> - فهذه الدلالة تستخدم في علم البيان، ولها أثر في إيراد المعنى بطرق مختلفة؛ فإن من العلاقات التي ذكرها علماء البيان في المجاز المرسل هي علاقة الكلية أي ذكر الكل وإرادة الجزء كالآية المذكورة آنفاً وهذه الدلالة لم تستخدم فيما اطلعنا عليه من الشواهد الكثيرة للطبايق.

أما دلالة الالتزام؛ - وهي دلالة اللفظ على شيء خارج عن معناه لازم له، سواء كان اللزوم عقلياً مثل لزوم العمى للبصر أو خارجياً مثل لزوم الإحراق للنار أو خارجياً وعقلياً معاً مثل لزوم الزوجية للأربعة أو لزوماً عرفياً بعرف خاص مثل لزوم الرفع للفاعل عند النحويين، أو لزوماً عرفياً بعرف عام مثل لزوم الشجاعة للأسد والجود للحاتم (الدسوقي، د.ت، ج ٢: ١٥٤-١٩٥). - فهذه الدلالة هي التي يركز عليها علم البيان؛ كما يقول السكاكي: «وإذا عرفت أن إيراد المعنى الواحد على صور مختلفة لا يتأتى إلا في الدلالات العقلية، وهي الانتقال من معنى إلى معنى بسبب علاقة بينهما كلزوم أحدهما الآخر بوجه من الوجوه ظهر لك أن علم البيان مرجعه اعتبار الملازمات (مفتاح العلوم، ١٣٥٦هـ: ١٥٧).

فلا يخلو أي نوع من أنواع المجاز اللغوي؛ من المجاز المرسل والاستعارة والكناية من علاقة: إما صريحة في دلالة الالتزام كما في الكناية؛ فإن العلاقة بين المكنى والمكنى عنه هي اللزوم؛ نحو: «فلان طويل نجاد السيف»، في الكناية عن الصفة، فبين طول النجاد وطول القامة ملازمة، وكما في بعض أقسام المجاز المرسل مثل ما تكون العلاقة بين اللفظ المنقول والمنقول إليه السببية نحو: «رعت الماشية الغيث» فإن الغيث سبب للنبات. وإما مؤولة باللزوم؛ كما في الاستعارة؛ فإن الجامع (أو وجه الشبه) بين المستعار له والمستعار منه يعتبر من لوازم المستعار منه، بسبب أنه فيه أظهر وأشد أو أتم وأقوى؛ ففي قوله تعالى: «كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور» <إبراهيم ١/١٤> استعير الظلمات للضلالة بجامع عدم الاهتداء الذي يشترك فيه طرفا الاستعارة؛ لكنه في المستعار منه (الظلمات)

أظهر وأجلى بسبب أن الظلمات محسوسة وظاهرة للعيون، فلذلك اعتبر من لوازمه؛ وكذلك استعير النور للهداية بجامع الاهتداء؛ ممّا يكون في النور أظهر وأجلى فجعل من لوازمه؛ وكما في بعض أنواع المجاز المرسل؛ مثل ما تكون العلاقة بين المنقول والمنقول إليه المحليّة، نحو قوله تعالى: «فليدع ناديه» [العلق ١٧/٩٦] فقد أطلق «ناديه» وأريد «أهل ناديه»، وكذلك باقى أقسام المجاز المرسل مثل الحالية والمجاورة وغيرهما ممّا تؤول العلاقة فيها بين المنقول والمنقول إليه باللزوم بسبب «تلاصق واتصال ينتقل بسببه من أحدهما إلى الآخر» (التفتازانى <أ> ١٣٧٤: ١٥٦-١٥٧).

فإذا تبين أنّ دلالة الالتزام هي محور مباحث البيان من المجاز المرسل والاستعارة والكنائية نبحت عن وجودها في الطباق، فإن ثبت وجودها فيه ثبت أنه من أسرة علم البيان ومباحثه.

و نسوق إليكم الآن الحديث عن دلالة الالتزام فى الطباق

كما سبق فى المقدّمة إن نسبة التقابل بين طرفى الطباق لا تخلو من أربعة وجوه: ١. تقابل السلب والإيجاب (التناقض)، ٢. تقابل العدم والملكة ٣. تقابل التضاد ٤. تقابل التضاييف (أو الإضافة) أو ما يشبه أحد هذه الوجوه.

فإذا كان بين اللفظين المتطابقين تقابل السلب والإيجاب أو العدم والملكة فدهى أنّ دلالة الالتزام تتحقّق باللزوم العقلي؛ لأنّ كلّ نفي يستلزم إيجاباً وكلّ انعدام صفة لموصوف من شأنه الاتّصاف به يستلزم تصوّر من يتّصف به.

مثال الأوّل قوله تعالى: «قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون» [الزمر ٩/٣٩] فقد طباق بين العلم وعدمه وهو طباق تناقض.

مثال الثانى قوله تعالى: «لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون فى سبيل الله» [النساء ٩٥/٤].

فبين لفظ «القاعدون» و لفظ «المجاهدون» فى الآية الكريمة تقابل العدم والملكة؛ فالقاعدون هم الفاقدون نعت الجهاد، والمجاهدون هم المتصفون به، كتقابل «الأعمى» و «البصير».

وإذا كان بين اللفظين المتطابقين تقابل التضاد، فإنّ الضد داع للضد ومفض إليه؛ نحو قوله تعالى: «ولله يسجد من فى السماوات والأرض طوعاً وكرهاً وظلالهم بالغدوّ والآصال» [الرعد ١٣/١٥].

فإنّ بين الغدوّ والآصال نسبة تضاد لأنّهما لا يجتمعان وقد يرتفعان لأنّ بعضاً من الوقت يمكن أن لا يكون غدوة ولا أصيلاً. فوقع بينهما فى الآية طباق، والغدو يستلزم الآصال ذهنياً.

وإذا كان بين اللفظين المتطابقين تقابل التضاييف فإن أحد المتضاييفين يستلزم الآخر نحو قوله تعالى: «يوم يفرّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه <عبس ٨٠ / ٣٤-٣٦>» فقد تحقق الطباق بين أمّه وأبيه وبين أبيه وبنيه ونسبة تقابل كل طرف من الطباق إلى الطرف الآخر نسبة تضاييف، وكل طرف يستلزم الطرف الآخر، فالأب يستلزم الأم، والابن يستلزم الأب في التصور والتعقل.

وإذ تبين بما سبق أن في الطباق دلالة الالتزام بأقسامها المنطقية والبيانية حان الأوان لأن نحدّد ما يترتب على الطباق من أثر البيان نتيجة دلالة الالتزام.

أثر البيان في الطباق نتيجة دلالة الالتزام

لا شك أن الغرض الأصلي من الكلام الذي هو موضوع علم المعاني والبيان هو إفادة المخاطب إمّا الحكم وهو فائدة الخير وإمّا كونه عالماً به وهو لازم الفائدة، (التفتازاني <ب>، ١٣٧٤هـ : ٣٥). فالكلام وبالتالي الألفاظ والمفردات في أي مستوى دلالي وسيلة لإلقاء المعنى من المتكلم إلى المخاطب، فالأصل في الكلام المعاني والألفاظ كلاماً أو كلمة تابعة لها. فإذا أمكن المتكلم أن يلقي المعاني قبل أوانها ودون التوسل بالألفاظ الموضوعية لها فقد أوفى البيان حقّه وأدى البلاغة غايتها؛ لاحظ - على سبيل المثال - قوله تعالى: «أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير» <البقرة ٢٠ / ٦١>» فإن قوله «أدنى» الطرف الأول يستقدم ويستدعي معنى الطرف الثاني «هو خير» فقد سبق معنى الطرف الثاني إلى ذهن المخاطب بلفظ الطرف الأول، ثم أعيد المعنى بلفظه الموضوع له «هو خير» ليقع المعنى في ذهن المخاطب أحسن وقوع.

ففي فن «الطباق» يؤدي المتكلم معنى الطرف الثاني أولاً بلفظ الطرف الأول بدلالة الالتزام كي يعد المخاطب ويجعله متوقفاً لتلقيه المعنى ثانياً بلفظه الموضوع له ممّا يسبّب وقوع المعنى في ذهنه أحسن وقوع وأمكنه.

فالأثر الهام أو الفائدة الأساسية للطباق بمعونة دلالة الالتزام، هو استحضار المعنى في ذهن المخاطب قبل إلقائه بدلالة المطابقة في كل من طرفي الطباق، ولذلك يكون بلاشك من مباحث البيان، تالياً لمبحث «الكنائية» لاشتراكهما في أن كلّاً منهما يفيد معنى اللازم مع جواز إرادة الملزوم، ويمتاز الطباق بأن المعنى اللازم يعاد ذكره بلفظه الموضوع له، ممّا يسبّب تأكيد المعنى، علاوة على ما فيه من تداعي المعاني على ما سيأتي بعد قليل إن شاء الله تعالى.

وإليكم الآن شواهد من القرآن الكريم قد وُظف فيها الطباق لتأدية المعنى وقد حُذف فيها الطرف الثاني بقريئة دلالة الالتزام في الطرف الأول:

١. قوله تعالى: «أفمن يتقى بوجهه سوء العذاب..» [الزمر ٢٤/٣٩] «فخبر المبتدأ في قوله «أفمن» محذوف بقرينة دلالة الالتزام في الطرف الأول «أفمن يتقى» فإن المتقى بوجهه سوء العذاب يضاده من لا يعذب، وهو متنعم في الجنة فالخبر معنى مثل «كمن ينعم في الجنة» (ابن هشام الأنصاري، ١٩٧٩م: ١٩).

٢. قوله تعالى: «لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل...» [الحديد ١٠/٥٧] «في هذه الآية تحقق طباق التضاد بين «من أنفق من قبل الفتح» المذكور و «من أنفق من بعد الفتح» المحذوف وقد حذف الطرف الثاني حيث دل عليه الطرف الأول «من أنفق من قبل الفتح» والملاحظ في هذا الشاهد أن «لا يستوى» بحاجة ماسة إلى هذا المحذوف لأنه جزء من فاعله؛ لأن هذا الفعل يدل على التشارك وفاعله يجب أن يكون اثنين فصاعداً، وقد صرح بالمحذوف في الكلام المستأنف بعده، وهو قوله تعالى: «اولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد» [الحديد، الآية نفسها].

٣. قوله تعالى: «لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون» [الحشر ٢٠/٥٩].

فقد تحقق طباق التضاد بين «أصحاب النار» و«أصحاب الجنة»، ثم أخبر الله سبحانه أن أصحاب الجنة هم الفائزون، وحصر الفوز-بدليل الإتيان بضمير الفصل <هم>- فيهم ويدل «أصحاب الجنة» بقرينة دلالة الالتزام الذهني على أصحاب النار وأنهم ليسوا بفائزين لأن حصر الفوز في أصحاب الجنة يستلزم عدم فوز أصحاب النار، فقد حذف كلام كامل برمته بقرينة دلالة الالتزام في طباق هذه الآية.

٤. قوله تعالى: «أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً» [فاطر ٨/٣٥] «في هذه الآية أيضاً حذف الطرف الثاني بقرينة دلالة الالتزام في الطرف الأول، وهو قوله تعالى «أفمن زين له سوء عمله»؛ فإن من زين له سوء عمله، يستلزم من هو على ضد هذه الصفة ممن ليس له عمل سوء من الذين اهتموا، فيكون معادل «أفمن» وهو خبره شيء محذوف نحو: «كمن هداه الله» ويؤيد هذا الحذف قوله تعالى ذيل الآية «فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء» [فاطر، الآية نفسها].

وفي اعتقاد الباحثين تقدير المحذوف «كمن هو على بينة من ربه» أفضل؛ لأن معنى الآية جاء في آية أخرى وجعل المبتدأ خبراً فيها، وهي قوله تعالى «أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله» [محمد ١٤/٤٧].

٥. قوله تعالى: «أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه» [هود ١٧/١١] «فقد حذف الطرف الثاني وهو خبر «أفمن كان» بقرينة دلالة الالتزام؛ لأن «من كان على بينة من ربه» يستحضر في الذهن مضاده ممن كان على ضلالة من الشيطان، فالخبر المحذوف هو «كمن

كان على ضلالة..» أو «كمن زين له سوء عمله» بقرينة آية أخرى مثل هذه الآية مصرحاً فيها بالخبر، وهو قوله تعالى: «أفمن كان على بينة من ربه كمن زين له سوء عمله» محمد ٤٧، الآية نفسها» .

٦. قوله تعالى: «أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله <الزمر ٢٢/٣٩>» .

فقد حذف خبر «من» في قوله «أفمن» بقرينة دلالة الالتزام. فإن شرح الصدر يستحضر في الذهن ضيق الصدر فيكون الخبر المحذوف عبارة نحو «كمن جعل صدره ضيقاً»، ويؤيد هذا المحذوف ما ورد فيه «ضيق الصدر» مصرحاً به ومقابلاً لشرح الصدر، وهو قوله تعالى: «فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً» <الأنعام ١٢٥/٦> .

ولعل ما أورده الباحثون هنا من شواهد قرآنية فيه كفاية للبرهنة على تواجد دلالة الالتزام في الطباق بما حذف من الأخبار التي تدلّ المبتدآت عليها بدلالة الالتزام في الطرف الأول من الطباق، وإذا أثبتت دلالة الالتزام في الطباق ثبت أنه من مباحث البيان، تالياً للكناية كما تقدم آنفاً.

الطباق وتداعى المعانى

وعلاوة على دلالة الالتزام التي تثبت أثر الطباق في البيان، هناك شاهد آخر لجدارة الطباق بعلم البيان، ألا وهو فنّ «تداعى المعانى» وتداعى المعانى أسباب وعوامل عدة، من أهمها الطباق؛ لأنّ الطباق لا ينفك من دلالة الالتزام ودلالة الالتزام لا تنفك من تداعى المعانى، لأن فيه استحضار صورة المعنى في الذهن بغير اللفظ الموضوع له، وهذا هو تداعى المعانى، والطباق من أظهر مصاديقه، فبينهما عموم وخصوص مطلق، فكل طباق فيه تداعى المعانى، وبعض مصاديق تداعى المعانى ليس بطباق، ومن روعة أثر تداعى المعانى في الطباق هو سير المعنى من المتكلم إلى المخاطب قبل سيره بلفظه الموضوع له ثم إعادة المعنى إلى المخاطب باللفظ الموضوع له.

وفيما يلي شواهد قرآنية لتداعى المعانى في الطباق بحيث يتبادر معنى الطرف الثانى إلى ذهن المخاطب دون حاجة إلى ذكره، وإنما ذكر لدواع بلاغية مثل التأكيد وغيره مما يقتضيه أحوال الكلام:

١. قوله تعالى: «أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون» <البقرة ٢/٧٧>. يلاحظ في هذه الآية أن معنى «يسرون» يستحضر في الذهن ضده وهو الإعلان، فقد وقع التداعى بين

الإسرار والإعلان، بحيث لو حذف الطرف الثاني المعطوف لعلم معناه بالطرف الأول المعطوف عليه.

٢. قوله تعالى: «رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا <آل عمران ٨/٣>» فالطباق واقع بين الإزاغة (وهي الإضلال) والهداية وهو الإرشاد إلى صراط مستقيم.

٣. قوله تعالى: «وآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة <آل عمران ١٤/٣>» فإن ثواب الدنيا يستحضر ثواب الآخرة قبل ذكره.

٤. قوله تعالى: «قل لا يستوى الخبيث والطيب <المائدة ١٠٠/٥>» الخبيث يستدعي الطيب في الذهن فحذفه لا يخل بالكلام وقد ذكر تأكيداً.

٥. قوله تعالى: «ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكّن لكم <الأنعام ٦/٦>».

فقد تحقق طباق السلب بين «مكناهم» و«مالم نمكّن» بحيث لو حذف الطرف الثاني لعلم معناه من الطرف الأول.

٦. فوسوس لهما الشيطان ليُبدى لهما ما وُرى من سواتهما <الأعراف ٢٠/٧>».

فقد وقع الطباق بين «ليبدى» و«ماورى» طباق الإيجاب، والطرف الأول يستدعي الطرف الثاني ويستحضر معناه قبل أوّانه.

٧. قوله تعالى: «وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود وتقلبهم ذات اليمين وذات الشمال <الكهف ١٨/١٨>» فقد وقع الطباق بين «أيقاظاً» و«هم رقود» طباق إيجاب، بحيث يفهم «الرقود» قبل أن يتلفظ به، وكذلك وقع طباق الإيجاب بين «ذات اليمين» و«ذات الشمال».

٨. قوله تعالى: «فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربّي ليبلونى أشكر أم أكفر <النمل ٢٧/٤٠>»، يلاحظ الطباق بين «أشكر» بدلالة الالتزام المفضية إلى تداعى المعانى.

٩. قوله تعالى: «وسبّح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب <حق ٣٩/٥٠>».

فقد تحقق الطباق بين «الطلوع» و«الغروب»، والأول داع للثاني قبل التفوه به.

١٠. «إن ربك هم أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين <القلم ٧/٦٨>».

وقع الطباق بين «ضلّ عن سبيله» و«المهتدين» طباق إيجاب ويدلّ الطرف الأول على معنى الطرف الثاني بمعونة تداعى المعانى.

هذه نماذج قليلة من شواهد قرآنية كثيرة لتضمّن الطباق تداعى المعانى، نحيل القراء الكرام

إلى مواضعها من القرآن الكريم.

مرّات تكرار الطباق فى القرآن الكريم

إن كثرة ترداد الطباق في القرآن الكريم - وفي النصوص العربية أيضاً - هي الأخرى دليل على موقعه وأثره في فن البيان وأنه من مباحثه؛ فقد ورد حسب الإحصاء التقريبي ما يبلغ أربعمئة وخمسين شاهداً للطباق بأنواعه المختلفة في القرآن الكريم مما يدل على أن مرآت تكراره في القرآن إن لم يزد على ما ورد فيه من باقى المجازات فليس بأقل منها.

نتائج البحث:

١. الطباق له أثر في علم البيان، - حسب ما قدمه الباحثون من أدلة - فلذلك نقترح أن ينتقل من مباحث علم البديع إلى مباحث علم البيان.
٢. إن الطباق أقرب إلى الكناية منه إلى باقى مباحث البيان فى الإفادة من دلالة الالتزام؛ ويفارقها أن الكناية تستخدم هذه الأدلة لبيان المعنى المجازى، والطباق يوظفها لتداعى المعانى.
٣. إن الطباق قرينة واضحة لرعاية الإيجاز وحذف بعض أجزاء الكلام كما لاحظتم فى بعض الشواهد السابقة من القرآن الكريم ، ولذلك يستخدم ويوظف فى مبحث الإيجاز من مباحث علم المعانى.
٤. إن تغيير مكانه من البديع وبالتالي من المحسنات الفرعية إلى فنّ البيان والمحسّنات الأصلية يسبّب تغيير نظر الأدباء إليه، وأن يعيروه اهتماماً يليق به مما يفتح المجال لتوظيفه فى مسائل النقد الأدبى والبيان أىّ توظيف.
٥. يجب تجديد النظر فى تأليف كتب البلاغة ودمج هذا الفن فى فنّ البيان وبسط أنواعه وأقسامه ومباحثه وشواهدة التى تكون مفيدة للغاية للباحثين فى البلاغة ومسائلها.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. ابن أبى الإصبع المصرى، عبد العظيم بن عبد الواحد. (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م). بديع القرآن؛ تقديم وتحقيق حفى محمد شرف، مصر: مكتبة نهضة مصر.
٢. _____ . (١٣٨٣هـ). تحرير التحرير؛ تقديم وتحقيق حفى محمد شرف، القاهرة: لجنة إحياء التراث الإسلامى.
٣. ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد بن عبد الكريم. (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م). المثل السائر؛ تحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد، بيروت: المكتبة العصرية.
٤. أنيس، إبراهيم وآخرون. (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م). المعجم الوسيط؛ مصر: مطابع دار المعارف.

٥. التفتازاني، مسعود. (١٣٧٤هـ/١٩٥٤م). مختصر المعاني > أ < [د.م]: مطبعة التوحيد.
٦. _____ . (١٣٧٤هـ). المطول > ب <؛ تهران: مكتبة العلمية الإسلامية.
٧. ثعلب، أبو العباس. (١٩٩٦م). قواعد الشعر؛ تحقيق رمضان عبد التواب، القاهرة: دار المعرفة.
٨. الخطيب القزويني، محمد بن عبدالرحمن. (د.ت). تلخيص المفتاح (مع مختصر المعاني)؛ قم: انتشارات علامّة.
٩. الدسوقي، محمد بن محد عرفة. (د.ت). حاشية الدسوقي على مختصر المعاني؛ ٢ج، اصفهان: مكتبة الشفيعي.
١٠. الزوزني، أبو عبد الله الحسين. (١٩٧٥م). شرح المعلقات السبع؛ بيروت: مكتبة المعارف.
١١. الساحلي، منى على سليمان. (١٩٩٦م). التضاد في النقد الأدبي؛ بنغازي: منشورات جامعة قار يونس.
١٢. السكاكي، يوسف بن محمد. (١٣٥٦هـ/١٩٣٧م). مفتاح العلوم؛ مصر: مطبعة مصطفى البابي الحلبي.
١٣. عبد الباقي، محمد فؤاد. (١٣٦٤هـ). المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم؛ القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية.
١٤. غالب، حنا. (٢٠٠٢م). كنز اللغة العربية؛ لبنان: مكتبة لبنان، ناشرون.
١٥. اللادقي، محمد الطاهر. (١٩٦٣م). المبسط في علوم البلاغة؛ بيروت: المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر.
١٦. ابن المعتز، عبدالله. (١٤١٠هـ/١٩٩٠م). البديع؛ نقد وتحقيق محمد عبد المنعم الخفاجي، بيروت: دار الجيل.
١٧. ابن المعصوم المدني، السيد على صدر الدين. (١٣٨٠هـ/١٩٦٨م). أنوار الربيع في أنواع البديع؛ تحقيق شاکر هادي شكر، النجف الأشرف: مطبعة النعمان.
١٨. مولى عبدالله بن الحسين اليزدي. (١٤٢٥هـ). حاشية مولى عبد الله على تهذيب المنطق للتفتازاني؛ قم: مؤسسة النشر الإسلامي.
١٩. ابن هشام الأنصاري، جمال الدين. (١٩٧٩م). مغنى اللبيب عن كتب الأعراب؛ تحقيق مازن المبارك ومحمد على حمد الله، بيروت: د.ن.

فصلنامه لسان مبین (پژوهش ادب عربی)

(علمی - پژوهشی)

سال چهارم دوره جدید، شماره دهم، زمستان ۱۳۹۱

طباق و جایگاه آن در بلاغت عربی در پرتو شواهدی از قرآن کریم*

سیده ریحانه میرلوحی

استادیار دانشگاه اصفهان

سید رضا سلیمان زاده نجفی

استادیار دانشگاه اصفهان

عبد الغنی ایروانی زاده

دانشیار دانشگاه اصفهان

محمد خاقانی

استاد دانشگاه اصفهان

چکیده

فن طباق یکی از صنایع بلاغی در متون عربی است که از دیرباز تاکنون در انواع مختلف ادب (شعر یا نثر) به کار رفته است و دانشمندان بلاغت همانند سایر فنون بلاغی، آن را ذیل عنوان بدیع یا بیان ثبت کرده اند؛ صنعتی که از زمان تقسیم علوم بلاغی به سه فن معانی، بیان و بدیع تاکنون به عنوان یکی از آرایه های بدیع معنوی بررسی شده است؛ اما چون حق طباق در میان این سه فن ادا نشده است، از این رو ضروری است که جایگاه و موقعیت حقیقی و اثر آن در بیان و کاربردش در فنون ادبی مانند گفتار و نوشتار و در نقد و سنجش نصوص بیان شود. لذا این مقاله با استشهاد به آیات قرآن کریم به این امر می پردازد.

کلمات کلیدی

طباق، بیان، بدیع معنوی، تداعی معانی، دلالت مطابقه، دلالت الت

تاریخ پذیرش نهائی: ۱۳۹۱/۰۹/۰۹

* تاریخ دریافت: ۱۳۹۰/۰۸/۰۹

نشانی پست الکترونیکی نویسنده: r.mirlohi@fgn.ui.ac.ir